المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة - فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣-١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

الخط العربي في رؤى طلاب التعليم العالي

منى بنت صالح الحضيف
جامعة المعرفة للعلوم والتقنية – الرياض

mona.hudaif@gmail.com

المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة ـ فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣ـ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

الخط العربي في رؤى طلاب التعليم العالي

منى بنت صالح الحضيف
جامعة المعرفة للعلوم والتقنية – الرياض
mona.hudaif@gmail.com

خلاصة البحث:

الخط العربي أحد أهم أشكال الحضارة التي امتدت وتنقلت عبر العصور حتى وصلت للشكل الذي هي عليه الآن، وهو يعكس الإيمان بالفن وملامح الثقافة العربية؛ إذ هو منجز للحضارة ورقي العقل، ومحدد لشخصية الفرد والأمة، معبرًا عن الثقافة والجمال البصري الذي يجعل من الخط العربي منظومة لا تنفصل عن الكلام.

وتعد الحاجة للتدوين وحفظ العلوم، ونقلها سببا رئيسيًا لتعلم الخط، إلا أننا أصبحنا نرى تراجعا في الاهتمام به حتى غدت الكتابة العربية أشكال وخطوط تضيع هويتها، جهلًا بأهمية جودة الكتابة، وضرورة تنظيمها، فأصبحت الكتابة تطل علينا بطلاسم لا يفهم معناها لصعوبة فك الأحرف عند قراءة أي نص مكتوب باليد. وبعد أن كان الخط مادة تحتل مكانها بين الحصص الأسبوعية لطلاب التعليم العام، تلاشى هذا المكان ولم يعد له أثر. مما تسبب في كارثة كبرى لدى الطلاب أدت لتردي خطوطهم، وعدم وضوح كتاباتهم.

ولأني أعمل في مجال التعليم العالي، وبالتحديد في تدريس اللغة العربية، فإني أتعرض لمعاناة كبرى عند تصحيح التكاليف والواجبات، وأوراق الاختبارات لما أجده من خطوط تحور شكل الحرف العربي إلى حرف إنجليزي، أو شكل هندسي، أو بقلب الحرف إلى حرف عربي آخر. مما يستعصي علي فهم الإجابات التي أقوم بتصحيحها، مستهلكة وقتًا أطول في محاولة فك رموزها. لذا سعيت في هذه الورقة البحثية محاولة الوقوف على الأسباب والحث عن حلول لها، من أجل نشر ثقافة وتأصيل حضارة.

مقدمة:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ سورة العلق من آية ١-٥. هذه الآيات من سورة العلق، هي أول ما نزل على رسولنا الكريم ﷺ ولاتخفى قصة نزول الوحي على عالم أو قارئ، وهي أول ما نزل على العباد من الرحمة والنعمة. والأمر بالعلم، والعلم يكون بالأذهان أو في اللسان، وقد يكون في الكتابة بالبنان، فهو ذهني ولفظي ورسمي، فكانت القراءة أول أمرٍ أمرَ الله -سبحانه وتعالى- به عباده، ولأن القراءة لا تتم دون كتابة، فقد ارتبطت القراءة بالأداة الملازمة لها وهي القلم، وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة[١]

القلم أول ما خلق الله ﷻ لحديث عن ابن عباس -رضي الله عنه- يقول ﷺ: "أَوَّلُ مَا خلقَ اللهُ القلمَ، فقال له: اكْتُبْ، فقالَ يا ربِّ وما أَكْتُبُ؟ قال: اكتُبِ القَدَرَ ما هو كَائِنٌ من ذلِك إلى قيامِ السَّاعَةِ"**رواه البيهقي**. والقلم أعظم المخلوقات المرتبطة بالعلم؛ إذ هو أداة لحفظ العلوم وتتابعها بين الأقوام على مرّ الزمان. فاستخدم الإنسان للكتابة قديمًا رموزًا وأشكالًا يهتدي بها الأجيال إلى رسالات أجدادهم؛ إذ عبّروا عن احتياجاتهم بتصوير أفكارهم، ورسمها رسمًا حقيقيًا، أو بطريقة رمزية باستخدام أدوات وأجسام للدلالة على شيء مرتبط بها[٢] متخذًا -في أول حياته- من الحجارة والصخور مادة ينقش عليها رسومه وحكاياته، فظلت تلك النقوش شاهدة حتى وقتنا الحاضر على تفاصيل حياته التي عاشها. ومع تطور الحضارات وارتقاء العلوم سعى الإنسان إلى تحويل اللغة المنطوقة لحروف مكتوبة يحفظ بها العلم. فمر بمراحل وأطوار حتى اتخذت كل لغة حروفًا تُعَبِرُ عن أفكارها، محولة ألفاظها إلى رموز تحفظ بها علومها ومعارفها. تطورت معها الأدوات التي استخدمها كل جيل في نقش هذه الرموز وتدوينها، بأدوات تتوافق مع الحضارة التي عاشت بها، فكانت المحابر والأقلام، وأصبحت الآن تقنية تترجم تلك الحروف بأزارير يتم الضغط عليه، وآلات اصطناعية تحول كلماتنا المنطوقة إلى كلمات مكتوبة. وكل تلك الأدوات بتنوع وسائها هي مادة صنعت لحفظ الكلام والعلم، بما يسهل علينا قراءته متى احتجنا الوقوف عليه.

الخط العربي حضارة وتأصيل:

إذا كانت اللغة هي رمز للفكر، فإن الكتابة هي رمز اللغة، وقد استخدمها الإنسان منذ أقدم العصور ليدون من خلالها شؤون حياته كالمعاهدات والمواثيق حفظًا لها، كما استخدمها ليسجل بها خواطره وتفاصيل حياته من أجل إيصالها لمن يأتي بعده، حتى أصبحت أحد أسباب التقدم الحضاري في كافة مجالات الحياة[٤] وتعد الكتابة أحد الفنون التي انتقلت من ثقافة إلى أخرى بطريقة طبيعية[٥] اختلف فيها استخدام الخطوط بحسب الثقافة التي تنتمي إليها تلك

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم: لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص٢٠١١.
[٢] اليافي، العواصم والقواصم في الذَّبّ عن سُنة أبي القاسم، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ١٩٩٢م، ٢٣٦/٦.
[٣] ينظر: الخطاط، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة: مصر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، ص٢٠.
[٤] ينظر: يعقوب، إميل، الخط العربي: نشأته، تطورة، مشكلاته، دعوات إصلاحه، جروس برس، طرابلس،ط١، ١٩٨٦، ص١٣.
[٥] ينظر: حمودة، محمود عباس، تطور الكتابة الخطية العربية: دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخداماتها، دار نهضة الشرق: القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص٦٦.

الكتابة، وقد عرّف ابن خلدون في الخط مقدمته بأنه "رسوم وأشكال حرفيّةٌ تدلُ على الكلماتِ المسموعةِ الدالة على ما في النفسِ"[١].

لم يكن وصول الخط العربي إلينا بصورته الحالية من دون تحول أو تطور؛ إذ وصلنا إلينا هذا الخط الذي نكتب فيه الآن بعد أن تنقل بين الحضارات، وتقلب فيه شكل الحروف من حرف إلى آخر، ومن رسم لرسم. كما تعددت الآراء في أصل هذه الحروف واشتقاقها، فمنهم من يقول: أن الخطَ العربي خطٌ متأثر بالسريانية في الشام، ومنهم من يرى أنها منتقلة من الأنبار والحيرة، وآخرون يرون أنها اشتقاق من الخط النبطي، وهناك من يعيد أصلها إلى لكتابة الآرامية[٢] ورغم تعدد الأقوال وتباين الآراء إلا أن أصل الكتابة العربية يحوفها الكثير من الغموض؛ إذ لم يتفق العلماء على مرجعها، ولم يقفوا بدقة على أصلها رغم وقوف علماء الآثار على بقايا النقوش في مواطن المراكز الحضارية القديمة، وعلى طرق القوافل التي تربط شمال الجزيرة العربية بجنوبها[٣] إذ "لا يكاد يخلو حجر في جنوبي الجزيرة العربية وقلبها وشمالها من نقش تذكاري نقشه كُتّاب محترفون أو غير محترفين من الرعاة ورجال القوافل"[٤].

يرى المؤرخون العرب القدامى أن الخط العربي الحجازي قد تولد من الخط الفينيقي المسند والآرمي المتولد من الخط المصري الفرعوني، وعليه فإن الخط المسند هو أصل الخط العربي[٥] أما المستشرقون فيرون أيضًا أن الخط المصري هو أصل الخطوط و أن الخط العربي يعود للخط الكوفي المتولد من الخط السرياني، وكما يرون أن الخط الحجازي مستقل عن الخط العربي الكوفي[٦].

وحينما ظهر الإسلام كان الخط العربي معروفًا في الحجاز، محصورًا في فئة قليلة من الصحابة وأهل الذمة، لينتشر -مع انتشار الإسلام- بين بلدان العراق وفارس وسوريا ومصر[٧] ليبدأ "كُتاب القرآن الكريم يدونون ما يمليه الرسول ﷺ بكتابة عربية خالية من النقاط، متفاوتة في أسلوب ومتأثرة باللهجات العربية المختلفة، إلى أن كُتب المصحف في عهد عثمان بن عفان الذي يعتبره المسلمون إمام المصاحف"[٨] فأقبل الصحابة على تدوين القرآن الكريم حفظًا له من الضياع. ومع نسخ القرآن الكريم انتشر الخط العربي، وازداد انتشارًا تبعًا للفتوحات الإسلامية المتعاقبة[٩] وقد بذل العلماء جهودهم في سبيل خدمة اللغة وخاصة المكتوب منها لتسع حروفهم كل الكلمات التي ينطقون بها،

[١] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية: بيروت، د.ط، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص٣٨٦.
[٢] ينظر: تطور الكتابة الخطية العربية، محمود حمودة، ص٣٨.
[٣] ينظر: تطور الكتابة الخطية العربية، محمود حمودة ، ص٢٧.
[٤] المرجع السابق، ص٦٧.
[٥] ينظر: المرجع السابق، ص٥٠.
[٦] ينظر: المرجع السابق، ص٥٠.
[٧] ينظر: الخطاط، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة: مصر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، ص٥٤.
[٨] تطور الكتابة الخطية العربية، محمود حمودة، ص١٣.
[٩] ينظر: بيرثييه، آن زالي وآني، تاريخ الخط العربي وغيره من الخطوط العالمية، تر: سالم سليمان العيسى، الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص ٩٢-٩٣.

وحماية من اللحن الذي طرأ على الألسن جراء اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، فعمدوا إلى إصلاح الكتابة العربية من عدة أوجه[1]:

أ- **زيادة الأحروف الروادف:** وهي الأحرف التي أردفها العرب بالأحرف، والمقتبسة من اللغة الفينيقية. مرتبة على الشكل الآتي:

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

ب- **التنقيط:** فلم تكن النقط ترسم على الحروف السامية، وعلى ذلك كتبت المصاحف في القرن الهجري الأول، الأمر الذي أدى إلى قراءة الأحرف على غير حقيقتها، مما سبب اختلاف وتعدد القراءات للقرآن الكريم.

ت- **العلامات الإعرابية (الشكل):** إذ رسمت الحروف السامية بشكل صامت خالٍ من التشكيل، الأمر الذي أثقل اللغة باللحن المتسرب إلى قراءة القرآن الكريم، مما دعا العلماء إلى اللجوء لضبط الكتابة بالحركات.

ث- **ترتيب الأحرف العربية:** كان عدد الحروف العربية التي أخذت من النبطية اثنان وعشرون حرفًا أضافوا عليها الروادف، ورتبت على ترتيب أ ب ج د هـ و ز، فحافظ بعض الأحرف على ترتيبه، وتغير بعضها لتشكل الترتيب الأبجدي المعروف اليوم.

ج- **الشَّكل بالحركات:** كان التشكيل يسير على النهج الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي مع صبغها بلون مخالف للون الأحرف حتى بداية العصر العباسي؛ إذ مال الكتاب إلى إدخال نظام شكل جديد وضعه الفراهيدي مستخدمًا رموزًا صغيرة فوق الأحرف.

ح- **علامات الوقف (علامات الترقيم):** اعتمد العرب في بداية كتاباتهم على ترك بياض بقدر رأس الإبهام لفصل الكلام عن بعضه، وبياض قدر رأس الخنصر ليكون فاصلًا بين السجعات، جاعلين للكتابة شروطًا وقيودًا لتكون الكتابة صحيحة، من ذلك ألا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في بداية السطر التالي حتى لا يلبس اتصال الكلام. أما ما نستخدمه الآن من علامات ترقيم كالأقواس والفواصل فلا يعرف بالضبط زمن دخولها الكتابة.

أهمية جودة الخط:

إن الحاجة لحفظ العلوم، ونشرها بين الأمم، ونقلها للأجيال اللاحقة، دعت الكتّاب إلى الاهتمام بالكتابة، والعناية بها، من خلال البحث عن الأدوات المناسبة، وتطويرها، والتدوين على المادة الملائمة. و لأهمية وضوح الكتابة وحسن الخط، فقد كان تعليم كتابة الخط العربي حاجة ضرورية منذ القدم، حتى أصبح فنًا يفخر به من يعمل به ويتقنه. ولإدارك علماء العربية القدماء أهمية القراءة والكتابة نجدهم في كتبهم قد "أشاروا إلى "اللفظ" الذي يعني القراءة، وإلى "الخط" الذي يعني الكتابة، واهتموا بسلامة التحرير العربي، وبالدلالات اللغوية، وعلوم الإنشاء عمقًا

[1] ينظر: الخط العربي، إميل يعقوب، ص٢٣-٤٠.

واتساعًا"[1]. ويرى ابن خلدون أن تكون جودة الخط في المدينة أكثر منها في البادية؛ لأن الخط من جملة الصنائع، التابعة للعمران[2] ويظهر أن العرب لم تكن لديهم دراية ومعرفة بالكتابة إلا بعد اتصالهم بالمدينة[3].

ولاشك أن المقاييس العامة للخط، من قبح، وجمال، وجودة يختلف تحديدها حسب البيئة التي تستعمل فيها الكتابة، ومدى نشر الوعي بأهميته جودة الكتابة، ونوع الخط الذي يستخدم لها في ضوء تنوع الخطوط العربية وتفاوت الكتابة بها بين الرقعة، والنسخ، والثلث، وغيرها، وإن كان وضوح الخط وبيانه هو أساس من أساسيات الكتابة التي لا يمكن نفي أهميتها. ويروي القيرواني أنه قد "سُئِل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ قال: إذا اعتدلت وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوده، وتفتَّحت عيونه، ولم تُشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العيون مثمره"[4]؛ فكمال الخط المجرّد أن تكون دلالته واضحة، وحروفه بيّنه، مع إجادة وضعها ورسمها كل حرف على حدة متميز عن الآخر[5].

لذا نجد أن للخط معلميه الذين ينظمون القوانين والأحكام على المتعلمين، لكل حرف يتعلمونه، وقد بلغ الخط العربي مبلغه من الإحكام والإتقان والجودة، لما بلغته الحضارة والترف؛ إذ احتاجت الدولة إلى الكتابة، واستعمال الخط، فطلبوا صناعته وتعلمه والإجادة فيه[6].

ويرى بعض الدارسون أن للخط المثالي مواصفات تتلخص فيما يأتي[7]:

١- أن يكون مختزلًا لا يتطلب الكثير من المجهود والوقت والورق.
٢- أن يرمز لكل صوت من أصوات اللغة برمز خاص به.
٣- أن تكون رموزه متباينة الأشكال، متباعدة قدر المستطاع، كي لا يقع القارئ في الالتباس.
٤- أن تحتفظ حروفه بأشكالها، أيًّا كان موقعها في الكلمة.
٥- أن تكون رموزه خالية من أيّة إشارات ثانوية كالنقطة والخط القصير أو أيّة علامات أخرى.

الخط العربي بين أيدينا:

رغم استمرار الاهتمام بالخط العربي عبر العصور وحتى يومنا هذا، ووجود من يرى في الخط العربي فنًا يمارس، وغاية يسعى لنيلها وتحقيقها، إلا أننا أصبحنا نجد تراجعًا كبيرًا في الاهتمام بالخط وتعليمه، حتى أصبحت الكتابة تطل علينا بطلاسم لا يفهم معناها لصعوبة فك الأحرف عند قراءة أي نص مكتوب باليد. فبعد أن كان الخط مادة تحتل مكانها بين الحصص الأسبوعية لطلاب التعليم العام، تلاشى هذا المكان ولم يعد له أثر. مما تسبب في

[1] البصيص، حاتم حسين، تنمية مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب: دمشق، د.ط، ٢٠١١م، ص٢٩.
[2] ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ص٣٨٦.
[3] تطور الكتابة الخطية العربية، محمود حمودة، ، ص٦٤
[4] يعقوب، إميل، الخط العربي: نشأته، تطورة، مشكلاته، دعوات إصلاحه، ص١١٠-١١١.
[5] ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ص٣٩٢.
[6] ينظر: المرجع السابق، ص٣٨٩.
[7] الخط العربي: نشأته، تطورة، مشكلاته، دعوات إصلاحه، إميل يعقوب، ص٤٥.

كارثة كبرى لدى الطلاب أدت لتردي خطوطهم، وعدم وضوح كتاباتهم. كما أثر دخول التقنية سلبًا على مهارة الخط والاهتمام بها، مما جعل الجميع يتجهون إلى الكتابة عن طريق الحاسوب مستغنين بذلك عن الكتابة اليدوية.

ولأني أعمل في مجال التعليم العالي، وبالتحديد في تدريس اللغة العربية، فإني أتعرض لمعاناة كبرى عند تصحيح التكاليف والواجبات، وأوراق الاختبارات لما أجده من خطوط تحور شكل الحرف العربي إلى حرف إنجليزي، أو شكل هندسي، أو بقلب الحرف إلى حرف عربي آخر. مما يستعصي علي فهم الإجابات التي أقوم بتصحيحها، مستهلكة وقتًا أطول في محاولة فك رموزها. لذا فقد آثرت أن أجري دراسة تطبيقية على طالباتي -في السنة التحضيرية للمرحلة الجامعية- بحثًا عن أسباب تردي خطوطهنَ في الكتابة، مستفسرة عن مدى رضاهنَ عن طريقتهنَ في الكتابة وحرصهنَ على تطوير وتحسين خطوطهنَ، في محاولة لمعرفة ما إن سبق لهم المحاولة في تطوير خط وتحسينه؛ إذ عملت على تخصيص نص عرضته على الطالبات، وطلبت أن يقمنَ بنسخه بأجود خط لديهن، ثم قدمتُ لهنَ استفتاءً حول رؤيتهنَ عن أهمية الخط العربي، و رضاهنَ عن خطوطهنَ ومساعيهنَ لتطويرها وتحسينها، ساعية لأن للوصول إلى أسباب غياب الاتقان للخط العربي والمؤثرات المتسببة في ذلك.

الخط والتعليم:

- الكتابة مهارة واتقان:

"كان الخط العربي وسيلة للعلم، ثم أصبح مظهرًا من مظاهر الجمال يفور بالحياة ويجري فيه السحر"[١] لكني هنا لن نتكلم عن الخط العربي باعتباره جمالًا يرسم، أو فنًا يمتهن، بل سأتناول الحديث عنه كونه وسيلة للعلم. فالكتابة من المهارات اليدوية التي لا تتطلب الكثير من الجهد والأدوات أو العمل، فهي بظاهرها تحتاج لممارسة ومراح يلين أعصاب اليد و يطوّعها لمسك القلم، ليكون مسترسلًا بلباقة على الورق. فالكتابة صناعة تحتاج إلى ذكائين هما: جمع المعاني بالقلب والحروف بالقلم[٢] فالكتابة تطلق على "أعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها على نفس الحروف المكتوبة ... تصوير اللفظ برسم حروف هجائه بتقدير الابتداء والوقوف عليه"[٣] فللخط مهارته وطريقته الخاصة التي لا تتوقف على مجرد النقل والنسخ؛ إذ لكل خط رسم يتبناه بانسيابية الحرف، وميلانه وطوله، فهي ليست مجرد خطوط تكتب على الورق، بل هي قواعد وقوانين يعتمدها كل خط في رسمه.

والخط لسان اليد، لذا فإن أقل مستوى للكتابة هو أن يكون الخط واضحًا، بيّنَ المعالم للحرف والنص، يستطيع القارئ أن يميز حروفه بيسر ليصل إلى معانيه. فإذا لم يكن الخط واضحًا أصبحت الكتابة طلاسم غير مفهومة ولا توصل المعنى الذي كتبت من أجله. وللكتابة أهمية في حياة المتعلم؛ إذ تعد وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر، كما تعد مكونًا أساسيًا للمعرفة التكاملية الوظيفية للقراءة[٤]

---

[١] محمود حمودة، تطور الكتابة الخطية العربية، ص ١١٢.
[٢] ينظر: المرجع السابق، ص٢١٦
[٣] الخطاط، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة: مصر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، ص ٧.
[٤] ينظر: البصيص، حاتم حسين، تنمية مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب: دمشق، د.ط، ٢٠١١م، ص٢٦.

مع تسارع الحياة وتقدمها، نجد أننا بحاجة إلى المرونة في أداء الكتابة، والانتقال بين الكلمات والحروف بسرعة ويسر دون عناء؛ إذ تتطلب منا بعض الأحوال أن ندون كلامًا نسمعه في ذات اللحظة! كما يحدث في كثير من المحاضرات العلمية، التي يتحتم على طالب العلم أن يكون متصفًا بسرعة البديهة وخفة حركة اليد حتى يستطيع تدوين الكلمات التي يسمعها وينقلها على الورق بخط واضح ومقروء ليتمكن من العودة إليها إذا احتاج الأمر ذلك منه. فالكتابة هنا تحتاج إلى مهارة عالية، ومرونة في اليد كافية، واعتياد على نسخ المسموع ليحقق الهدف المرجو من حفظ المعلومة المسوعة بنصها دون تغيير أو تبديل.

- **أهداف تعليم الخط:**

الخط وسيلة للتعبير اللفظي عن الكلام، فبجماله وحسن تنسيقه يزداد الإقبال على قراءة النص وتقبله، مما يدعونا إلى تنظيم الخط وترتيبه تحقيقًا للهدف المرجو من تعليمه. ويمكن إجمال أهداف تعليم الخط فيما يأتي:

١- الوضوح: وهو عامل يمكّن القارئ من الوقوف على المعاني المدونة دون لَبس؛ إذ تقف رداءة الخط حائلًا بين الكاتب وإيصال أفكارعند عرضها مكتوبة على الآخرين، كما تصرف القارئ عن الرغبة لفهم المكتوب.

٢- السرعة: فالاستمرار في التدرب والممارسة من أهم عناصر تطوير مهارة الكتابة، التي تساهم في اختصار الوقت والزمن الذي يدون فيه الفكرة، وستزداد سرعته في المستقبل باستمرار التدرّب والممارسة.

٣- الجمال: ممارسة الخط تدرب العين على دقة الملاحظة، واتزان الأصابع ودقتها في النسخ والكتابة، وإدراك النسب بين الأجزاء الدقيقة في رسم الخط ونقله على الورق. وتتمثل معايير الجمال في تنظيم وترتيب الكتابة، وتناسق رسم الحروف واندماج حدتها.

الخط العربي والتقنية:

لم تنعزل العربية بفنونها واحتياجاتها المهارية عن التطور والتقدم الذي يعيشه العالم بكافة تفاصيله، بل سعى لأن يواكبها ويكون جزءًا من الحضارة التقنية التي يعيشها العصر، فحينما اخترعت الآلات الأولى للطباعة كان للغة العربية النصيب منها، ومع تطور التقنية وأجهزة الحاسوب لم تكن العربية بمنأى من ذلك، إذ واكبت الحضارة، وتجملت حروفها برسوم الخطوط التقنية، فتزينت برامج الكتابة والرسوم بأشكال متعددة من الخطوط التي جعلت من الخط المكتوب بالحاسوب يأخذ أفقًا جماليًا واسعًا، حتى مالت له القلوب وأنجذبت له العيون، لسهولة التغيير والتبديل بين الأشكال والألوان.

لقد فرض الطابع العالمي والوقت المتسارع من الحياة سرعة الإنتاج مع وجود الدقة من خلال الأجهزة الحديثة التي أصبحت متوفرة في كل مكان، لسهولة توفرها، لتوفر سعرها الاقتصادي، وتميز الخدمات التي تقدمها وتيسيرها، فلا يكاد يخلو منزل من جهاز أو أكثر، لتكون الكتابة بأجهزة الحاسوب منافسًا قويًا للكتابة باليد، وربما أسقطت من مكانته.

ولعل الكتابة من خلال التقنية كانت سببًا في الابتعاد عن الكتابة باليد، وذلك لأسباب متعددة، فالكتابة من خلال الضرب على أزرار الحاسوب يعتبرها الكثير ممن يحب التقنية أكثر متعة، وأسهل من مسك القلم والكتابة على أسطر متوازية، فالحاسوب سيقوم بمهمة الكتابة المنظمة، وتتميز بالسرعة مع الوضوح التي قد تفوق بها سرعة الكتابة باليد، فالحروف بالكتابة من خلال برامج الحاسوب ستضمن تناسق الأحرف وانتظام تباعدها، وحجمها، فالجودة ملازمة للكتابة من خلال الحاسوب مهما كانت مهارة الكاتب، سواءً أكانت جيدة أم ضعيفة. كما تتميز الكتابة بسهولة التعديل والتراجع عن الخطأ وتجاوزه، دون أن يؤثر على شكل النهائي للصفحة، وهذا مما تفتقده -أحيانًا- الكتابة على الورق. ومما يميز هذه الكتابة أيضًا سهولة تغيير الخطوط والألوان، وحتى شكل الورق، دون ظهور سطور الكتابة.

إن توفير الوقت والجهد وربما المال، في ظل الدقة المتناهية، والنتائج الإيجابية محدودة الخطأ، مع سهولة حفظ للبيانات والعودة لاحقًا لتعديلها والتغيير فيها، كل ذلك كفيل في جعل الأشخاص يفضلون الكتابة من خلال أجهزة الحاسوب، والتعامل معها ومن خلالها دائمًا، إلا أن ذلك كان سببًا في ضعف الكتابة باليد حتى أصبح الكثير يرى أنها عديمة الأهمية، ولا تشكل مشكلة يواجهها الأشخاص، لكني أرى أن ذلك أمر غير صحيح، فالتقنية ساهمت كثيرًا في تقدم حياتنا وتطورها، لكنها لا يمكن أن تكون بديلًا نهائيًا عن الكتابة باليد، فلازلنا نحتاج ونتعامل مع الكتابة بالقلم، فلازالت الورق هو المستخدم في المدارس، والكثير من المعاملات التي لا تستطيع الاستغناء عنها نهائيًا.

طلابنا وحسن الكتابة والخط:

إن تَعَلُّمَ تجويد الخط يساعد على غرس مجموعة من الصفات والعادات الحسنة. فهو يساعد على الصبر والتأني، ولاهتمام بنظافة الأدوات والكراسات، ولا بد لمتعلم الخط والكتابة أن يعرف العادات السليمة في الكتابة ويلزمها كالمسك الصحيح للقلم، والجلسة الصحية[1].

ويمكن أن نرجع سبب رداءة الخط لدى الطلاب عند الاهتمام في مسألة وضوح الخط وحسنة أثناء المراحل الدراسة، ففي السابق كان الاهتمام بها في المراحل الدراسية الأولى موجودًا ومحققًا النتيجة التي كانت مرجوة من تعليمها، لكن ما أن يتجاوز الطالب المراحل التي تفرض عليه دراسة الخط حتى يبدأ الخط بالتردي وزوال معالم الحروف، وكأنه لم يدرسه يومًا، لكنّ من استمر في تهذيب خطة وممارسة الكتابة، فإننا سنجده محافظًا على جودة كتابته وحُسن خطه؛ إذ كان الخط مقررًا مهما لدى طلاب المرحلة الابتدائية، يتعلمونه ويتدربون عليه، فكانت مادة الخط تعامل معاملة المواد الدراسية الأخرى التي تتطلب من الطالب اجتيازها. لكن بمجرد ما ينتقل الطالب إلى المراحل اللاحقة تصبح لديه الكتابة مجرد خطوط ترسم على الورق من أجل نقل الفكرة دون اهتمام بصحة رسم الحروف وكتابتها – عدا من حافظ عليها- متناسين أن حروف اللغة العربية تختلف بالنقطة، مما يعني اختلاف المعنى بوجودها وفقدها.

[1] ينظر: تطور الكتابة الخطية العربية، محمود حمودة، ص ٢٥٦.

وحينما تغيرت الخطط الدراسية وألغيت مادة الخط نهائيًا من المنهج الدراسي، أصبحت رؤية الطلاب إلى الاهتمام بتنظيم الخط وترتيبه شبه منعدم، مما جعل كتابتهم فوضى على الورق لايمكن فهمها أو معرفة مضمونها، فالكلمة بدلا من كتابتها على السطر أصبحت تتجاهل أسطر الورق، وتتأرجح بين السطور، فلا تعلم ما تنظيم الجملة وما ترتيب كلماته، ناهيك عن التبادل بين الحروف وكأنها تتاوب في رسم الكلمة. مما يفقد الورقة الجمال والوضوح وتحقيق الهدف الذي كتبت من أجله.

ربما لا يشعر بوجود هذه المشكلة وعمق جذورها من هو خارج إطار التعليم، وإن كان الواقع أن عدم وضوح الخط مشكلة يقف عندها كل من اعتمد كتابة نص بيده، حتى وإن لم يكن مختصًا، فعدم وضوح الخط يؤدي لعدم وصول المعنى. ولكوني أستاذة لمادة اللغة العربية وللمرحلة الجامعية التي لا ترى العديد من طالباتها أهمية لتنظيم الكتابة؛ إذ تعتبر الكتابة مجرد إيصال الفكرة، فإني أواجه مشاكل كبيرة في تصحيح الورق ما بين واجبات واختبارات، للفوضى التي أراها في بعض الأوراق، وكأني أقف على نقوش لإحدى الكتابات الآرامية، مما تتطلب مني وقتًا أكثر في فك الرموز وتحليل العبارات لأصل إلى مضمون الإجابة التي أرادتها الطالبة، وهذا ليس بالشيء السهل؛ إذ يحتاج مني الأمر أن أنهي المئآت من الواجبات والاختبارات، كما أن فك الحروف والكلمات وفهمها يتسبب في تعب الدماغ للتركيز الشديد، فأنا كأستاذ لا أريد ظلم الطالب واعتبار إجابته خطأ لأني لم أفهم مضمون كتابته، وهذا أعظم إشكال نقف أمامه، لكن الطالب للأسف لا يرى لذلك أهمية.

ولعمق هذه المشكلة التي واجهتها طويلًا، قمت بعمل استبيان لطالباتي أرى فيه مدى وعيهنَ بأهمية وضوح الخط وترتيب الكتابة، وما إذا كانت قد سبق أن سعينَ لتحسين خطوطهنَ.

الاستبانة:

وُزِعَت الاستبيانة على مئة طالبة ممن يدرسنَ في مرحلة الإعداد العام "السنة الأولى من الجامعة" من طالبات جامعة المعرفة.

إطار الاستبانة:

احتوت الاستبانة على مقدمة توضح عنوان البحث، والهدف منه، والهدف من الاستبانة، وأهمية إبداء الطالبة رأيها بصراحة وصدق، وإشعارها بأهمية المقياس وفائدته.

ذيلت ورقة المقدمة بمكان لتكتب فيه الطالبة اسمها -إن رَغِبَت- والقسم الذي تنتمي إليه. ثم وضعت نصًا بقلم: كامل سلمان الجبوري، مقتبس من مقدمة كتابه: موسوعة الخط العربي/ خط الثلث، وطلبت من الطالبة أن تقوم بنسخ النص بأحسن صورة تجيدها، مستخدمة قلمًا تفضل الكتابة به.

صياغة أسئلة الاستبانة:

احتوت الاستبانة على إثنا عشر سؤالًا، وقد رُوعي في صياغة الأسئلة ما يأتي:

- أن تكون العبارات والأسئلة قصيرة إلى حد كبير.
- أن تكون العبارات والأسئلة محدودة المعنى بشكل يشتمل على جانب واحد يطلب إبداء رأيه فيه.
- كانت الاستجابات المحتملة في الإجابات على العبارات خمسة هي: (ممتاز- جيد جدًا- جيد- مقبول- ضعيف)، وأخذت الباحثة بهذه الاستجابات للسببين:

١- حتى يصلح المقياس للكشف عن مدى صحة العبارات ووضوح صياغتها.

٢- للكشف عن شدّة الرأي في الإجابة عن الأسئلة، مما يزيد معدل صدق المقياس.

وكانت نتيجة ذلك الاستبيان تتمثل في الجدول التالي:

السؤال	ممتاز		جيدجدا		جيد		مقبول		ضعيف	
	الاتفاق	النسبة المئوية	الاتفاق	النسبة المئوية	الاتفاق	النسبة المئوية	الاتفاق	النسبة المئوية	الاتفاق	النسبة المئوية
مامدى رضاك عن خطك	27	%5.88	30	%10.45	25	%12.44	12	%12	6	%11.77
مامدى وضوح خطك	34	%7.41	33	%11.5	21	%10.45	11	%11	1	%1.96
مامدى جمال خطك	18	%3.92	24	%8.36	29	%14.43	20	%20	9	%17.65
ما أهمية طريقة الإمساك بالقلم بالنسبة لجودة الخط	49	%10.67	35	%12.2	11	%5.47	3	%3	2	%3.92
مامدى تغير خطك عند تغير نوع القلم	34	%7.41	44	%15.33	16	%7.96	5	%5	1	%1.96
مامدى سعيك لتطوير خطك وتحسينه	25	%5.45	20	%6.97	27	%13.43	18	%18	10	%19.61
إلى أي مستوى تجدين أهمية الكتابة باليد	54	%11.76	28	%9.76	12	%5.97	2	%2	2	%3.92
ما أهمية وضوح الخط وحسنه برأيك	75	%16.34	14	%4.88	6	%2.98	4	%4	1	%1.96
ما مدى تأثير أجهزة الحاسب على سوء الخط في الكتابة	39	%8.5	20	%6.97	21	%10.45	8	%8	12	%23.53
ما أهمية تدريس مادة الخط في مراحل التعليم العام	56	%12.2	16	%5.57	14	%6.97	9	%9	5	%9.8
ما أهمية وجود مراكز للتدريب على الكتابة وتحسين الخط	48	%10.46	23	%8.01	19	%9.45	8	%8	2	%3.92

جدول (١) نسبة اتفاق الطالبات على كل محور من محاور القياس

لقد كانت نسبة الرضى عن الطالبة عن خطها متفاوتة، فكان نسبة من رضاه عالٍ عن خطه ٥,٨٨%، أما بقية النسب فكانت متفاونة بين ١٠,٤٥% - ١٢%. أما سؤال: حول وضوح خطك، فكانت أقل نسبة هي (الضعيف) و نسبتها ١,٩٦%، بينما بقية لاختيارات فكانت متفاونة، إذ كانت فئة قليلة ترى أن خطها واضح من ترى وضوح خطها وهي ٧,٤١%، وأما البقية تتراوح بين ١٠,٤٥-١١,٥%. وجاء السؤال عن مدى جمال الخط، فكانت نسبة من رضي عن خطه من الطالبات ٣,٩٢% ، وأما من ترى أن جمال متوسط فهي نسبة ٨,٣٦% ، إلا أن النسبة العلى فكانت لا

ترى في خطها الجمال، وكانت نسبتهم ٢٠% ، لتتدرج النسب متصاعدة بشكل بسيط بين (ضعيف) ١٧,٦٥%، و(جيد) ١٤,٤٣%.

وعند السؤال عن تأثير طريقة الإمساك بالقلم بالنسبة لجودة الخط: فقد كان التفاوت بين من يرى أنه أمر مهم (ممتاز) نسبة ١٠,٦٧% و(جيدجدًا) ١٢,٢% ولتنخفظ نسبة من لا يرى لذلك تأثير بين (جيد) ٥,٤٧%، و(مقبول) ٣% و(ضعيف) ٣,٩٢%. ولتنتقل بعد ذلك للسؤال عن القلم، ومدى تأثر الخط بنوعه، فكانت أعلى نسبة لنسبة (جيد جدًا) وهي ١٥,٣٣%، تليها نسبة مقاربة بين (ممتاز) ٧,٤١% و(جيد) ٧,٩٦%، ويليها (مقبول) ٥% ، وأما من لا يرى لتغيير القلم أي تأثير على الخط (ضعيف) فكانت نسبهم ١,٩٦%.

وفي الانتقال إلى السؤال عن السعي للتطوير والتغيير، فقد كانت الغالبية العظمى لم تسعَ لتحسين خطها؛ إذ كانت نسبة (ضعيف) تمثل ١٩,٦١% من الإجابات، تلتها (مقبول) بنسبة ١٨%، وثم (جيد) ١٣,٤٣% و(جيد جدًا) نسبة ٦,٩٧% ، لتكون نسبة من سعى للتغيير والتطوير تمثل ٥,٤٥%. وعن السؤال حتى مستوى أهمية الكتابة باليد، فقد كان الوعي عاليًا لدى الطالبات؛ إذ تمثل نسبة من ترى أهمية ذلك (ممتاز) ١١,٧٦%، تليها (جيد جدًا) نسبة ٩,٧٦%، و(جيد) بنسبة ٥,٩٧% و(ضعيف) ٣,٩٢% و(مقبول) بنسبة ٢%. وعند السؤال عن أهمية وضوح الخط وحسنه حسب رأي الطالبة: فقد كانت النسبة الأعلى لمن ترى لذلك أهمية (ممتاز) وتشكل نسبة ١٦,٣٤% ، بينما نجد تقاربًا بين البقية؛ إذ كانت (جيد جدًا) تمثل ٤,٨٨% ، و(مقبول) ٤%، أما (جيد) نسبة ٢,٩٨%، و(ضعيف) نسبة ١,٩٦%.

وننتقل للسؤال عن ربط الواقع بالتقنية التي سيطرت على العلم، وعن بيان تأثير أجهزة الحاسب على سوء الخط في الكتابة، لنجد أن النسبة الغالبية ترى أن ليس للتقنية أي تأثير على حسن الخط ورداءته؛ إذ كانت النسبة العظمى (ضعيف) تمثل نسبة ٢٣,٥٣%، تليها (جيد) تمثل نسبة ١٠,٤٥%، تليها (ممتاز) ٨,٥%، ثم (مقبول) ٨%، و أقل نسبة لـ (جيد جدًا) ٦,٩٧%.

وفي سؤال عن أهمية تدريس مادة الخط في مراحل التعليم العام، فكانت النسبة متفاوتة فالغالبية العظمى ترى أهمية تدريس الخط؛ إذ احتلت (ممتاز) نسبة ١٢,٢%، تليها ٩,٨% لـ (ضعيف)، وبعدها (مقبول) ٩%، ثم (جيد) ٦,٩٧% ، وأخيرًا (جيد جدًا) بنسبة ٥,٥٧%.

ليكون السؤال الأخير: عن أهمية وجود مراكز للتدريب على الكتابة وتحسين الخط، فكانت النتائج الأعلى لـ (ممتاز) ١٠,٤٦%، تليها (جيد) بنسبة ٩,٤٥%، ثم (جيد جدًا) ٨,٠١%، ثم (مقبول) ٨%، فـ (ضعيف) ٣,٩٢%.

ثم طرحت سؤالين يتطلبان إجابة إما بـ (نعم / لا) والسؤالان هما: هل حاولت تغيير خطك؟ وكانت النسبة الأعلى (لا) بنسبة ٦١,٠٤%، أما من أجاب بـ (نعم) فكانت نسبتهم ٤٣,٠٩%.

وأما السؤال الثاني فكان: هل سبق أن تعلمت أسس الكتابة الصحيحة، فكانت الغالبية العظمى (نعم) بنسبة ٥٦,٩١%، وأما من أجاب بـ (لا) فكانت نسبتهم ٣٨,٩٦%

جدول (٢) نسبة المحاولات في التغيير

	نعم		لا	
السؤال	الاتفاق	النسبة المئوية	الاتفاق	النسبة المئوية
هل حاولت تغيير خطك	53	%43.09	47	%61.04
هل سبق أن تعلمت أسس الكتابة الصحيحة	70	%56.91	30	%38.96

الخاتمة:

قال صلى الله عليه وسلم: "قيدوا العلم بالكتاب"، إن تعلم الخط مهارة مرتبطة بالعلم، فإتقانه مطلب من مطالب العلم، فهو ينمي المهارات الذهنية، ويزيد التركيز، ويبني الملاحظة والانتباه لدى متمرسه، كما يعود على النظام والترتيب، والتظام النظافة والاتقان. كما يساهم في تنمية الذوف الفني والجمالي لدى الشخص. وللقواعد الشكلية كالخط وجماله، تأثيرها في وضوح المعنى وسهولة التقاطه من النص، وما يلازمها من فنيات مرتبطة بالنص، ونظافة الورق.

إننا في حاجة إلى زرع الاهتمام في الكتابة وتنظيمها في نفوس أبنائنا منذ بداية تعليمهم، لما في ذلك من تقوية للارتباط بينهم وبين الاهتمام بالدراسة والعلم. فكلما ارتبط طالب العلم بالوسائل المتصلة بالتعليم فإن ذلك سيزيد من ارتباطهم بالعلم والاحساس بالمسؤولية تجاهه، فالعلم ليس حفظًا للمعلومات وتعلمها، بل من زكاة العلم نشره، والكتابة باب من أبواب النشر.

لذا نوصي بالدعوة للاهتمام بالكتابة وحث الأبناء على تحسين الخط وتشجيعهم على ذلك، من خلال تدريبهم، وتصحيح كتاباتهم، ابتداءً بمساعدتهم على النسخ الذي يعد أول سبل التطوير والتعليم، كما يمكن عمل المسابقات البسيطة، والمشاركة في المسابقات الوطنية والدولية المرتبطة بذلك، وتقديم المكافآت بإنجازاتهم و بنشر أعمالهم

ومن الجانب التعليمي، لماذا لا يتم وضع درجة خاصة لتحسين الخط – يمكن أن تكون درجة إضافية تشجيعية- على ألا يحصل عليها إلا من يستحقها من الطلاب. فهي مهارة من المهارات التعليمية التي لا يستغني عنها طالب العلم.

وأدعو وزارة التعليم بإعادة النظر في عودة مادة الخط العربي للطلاب في المرحلة الابتدائية، فنحن في أمس الحاجة لتأصيل هذه المهارة لتبقى حضارة لها وسمها الثقافي. ولِمَ لا يتم عمل المسابقات من قِبل الوزارة للطلاب باختلاف المراحل التعليمية، أو فتح مراكز تدريبية من خلال استثمار الإجازات الصيفية للتدريب والتعليم.

المراجع:

- البصيص، حاتم حسين، تنمية مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب: دمشق، د.ط، ٢٠١١م.

- بيرثييه، آن زالي وآني، تاريخ الخط العربي وغيره من الخطوط العالمية، تر: سالم سليمان العيسى، الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٤.

- حمودة، محمود عباس، تطور الكتابة الخطية العربية: دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخداماتها، دار نهضة الشرق: القاهرة، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

- الخطاط، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة: مصر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.

- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية: بيروت، د.ط، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- يعقوب، إميل، الخط العربي: نشأته، تطورة، مشكلاته، دعوات إصلاحه، جروس برس، طرابلس،ط١، ١٩٨٦م.

- اليماني، العواصم والقواصم في الذَّبِّ عن سُنة أبي القاسم، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ١٩٩٢م.

- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم: لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

- عبدالحي، سحر كمال، أثر استخدام استراتيجية الحاسب الآلي في تدريس مقرر التشكيل بالخط العربي على تنمية القدرة الابتكارية والتحصيل الدراسي لدى طالبات قسم التربية الفنية بجامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة، الفصل الدراسي الثاني، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.